طلقة (١٢)

(في غرفة العمليات أكتوبر ٧٣)

وغابت القيادة عن ساحة المعركة

هو يوم المهزلة... ذلك هو العنوان الأمثل ليوم ٥ يونيو ١٩٦٧ في تاريخ العسكرية المصرية.. عندما اكتشف كبار القادة أن الطائرات الإسرائيلية تدك موقع اجتماعهم وقد كان المشير عبدالحكيم عامر على وشك الوصول إليه بطائراته.. وبعد ١٢ ساعة من المعاناة عاد سعد الشاذلي إلى مجموعته التي كانت تتمركز بالقرب من الحدود الفلسطينية.

اكتشف الشاذلي أن الاتصالات مقطوعة مع القيادات كلها.. والطيران الإسرائيلي يدور في الأجواء أو بمعنى آخر يختال ومجموعة الشاذلي مكشوفة في الصحراء وفكر في الاستماع إلى إذاعة العدو لعله يجد خبرا أو إشارة أو معلومة يتصرف بناء عليها وسمع عجباً.

«أيها العرب لقد وصلت القوات الإسرائيلية إلى رفح والعريش وعلى الأهالي رفع الرايات البيضاء».. وجلس الشاذلي مع رجاله يفكر ماذا يكون التصرف في هذا الجو الضبابي الغامض.

ومرة أخرى عاد الطيران الإسرائيلي وفي هذه المرة صوب نيرانه.. وكانت الخسائر في مجموعة الشاذلي طفيفة وهي في تلك العزلة القاتلة.. ووضع الخريطة أمامه ووجد أن أمامه منطقة جبلية على بعد ٢٠ كيلومتر داخل حدود إسرائيل، ولم أكن أمتلك الامكانات لمواجهة الطيران لذلك كان الاعتصام بالجبل من الحلول الجيدة حتى أجد الغطاء المناسب.

أي أن هذا القائد ذهب عكس الاتجاه.. جيش بلاده ينسحب إلى الغرب وهو يتعمق في أرض العدو ويختبئ من طيرانه داخل حدوده أو ما تسمى كذلك فكلها فلسطين المغتصبة وكان الاختيار في منطقة بها بئر ماء للشرب.

كانت مجموعة تضم ١٢٠ فردا بين ضابط وجندي وخلال عمليات التوغل كانت الخسائر لا تتجاوز ثلاثة أفراد بين شهيد وجريح.. وكانت المجموعة تضم

٣٠ دبابة.. وعندما يصل الطيران لا يستطيع أن يضرب لان الجبل كأنه يحتوي الجيش بين أحضانه وطبيعة الوادي المعوج تعطي هذا الحماية.

القاعدة العسكرية تقول اذا لم تستطع القيام بالعمل الايجابي ابحث عن أقرب عمل سلبي صحيح.. لان هروبك من خسائر العدو.. هو انتصار لك.

كانت هذه أطول ليلة في تاريخ الشاذلي العسكري وفي تاريخ مصر كلها..

ومجدداً حاول الشاذلي الاتصال بالقيادة لكن دون جدوى وبعث بأحد الضباط لاكتشاف الأوضاع على ارض الواقع والوصول إلى القيادة ولكنه لم يعد وبدأ الطيران مرة أخرى يكشر عن أنيابه عن تلك الفريسة التي أصبحت مثل اللقمة في الزور لان الجيش تقريبا انسحب أو في طريقه للانسحاب والطيران يصطاد بكل بسهولة لكن مجموعة الشاذلي كأنها دخلت تحت جلده.

«افتحوا الراديو يا ولاد!».. هكذا طلب من ضباط الإشارة وان يحاولوا التقاط إذاعة مصر ليعرف الخبر اليقين.. اقل القليل هو ما يصل أو يقال أو أنها معلومات مغلوطة تماما عكس ما هو على ارض الواقع فقد كان الإعلامي أحمد سعيد في صوت العرب يحصر الطائرات الإسرائيلية التي تسقط، وطيراننا كله قد تلوى على الأرض بين قتيل وجريح وهذا ما رآه الشاذلي بعينه في مطار فايد وعلى طول طريق العودة إلى كتيبته..وهو يعيش تحت رحمة الطيران الإسرائيلي كان هذا هو قدرك يا سعد ومعك رجالك، السماء تمطر فوق رأسك بقذائف الطيران وسماء الإعلام تمطر بالأكاذيب وأنت هناك وحدك في عمق العدو.

وفي عصر يوم ٧ يونيو جاء الاتصال أخيرا من القيادة العامة للقوات المصرية وسألوه: ماذا تفعل عندك؟!.. لقد أصبحت سيناء كلها تحت سيطرة إسرائيل وأنت في هذا المكان شبه محاصر وعليك الانسحاب.

***

كش ملك

توغلت بأقل الخسائر فهل أنت قادر على الانسحاب في تلك الأرض المكشوفة حيث لم يبق للجيش المصري سؤال حاول فيه أن يشرح للقيادة ولكنها لم تكن جاهزة لان تسمع وترى فقد قضي الأمر وعلى الله قصد السبيل بعد اتصال القيادة رسميا بمجموعة الشاذلي أدرك وقتها أن الهزيمة قد وقعت.

وفي أثناء ذلك لم يتوقف الطيران عن مناشداته وكأنه يقول لسعد ورجاله: نحن هنا.. وخاصة أنها القوت الوحيدة الباقية على قيد المعركة.. وكانت حساباته كلها للطيران اما المواجهات البرية فهو كفيل بها.

العجيب في الأمر أن معنويات مجموعة الشاذلي كانت عالية رغم الحصار وانسحاب معظم القوات المصرية لان قائدهم يتصرف أمامهم بهدوء وعقلانية.. وبعد قراره الموفق له أو عليه وعندما تسأل الشاذلي عن ذلك يقول لك أنها مجموعة منتقاة وهذا هو شأن رجال الصاعقة والمظلات الخلاصة.. بين رجال الأسلحة المختلفة. ومع آخر ضوء في نهاية ٧ يونيو.. وكانت ليلة قمرية قررت التحرك جنوبا وبالتالي لا حاجة للأنوار الصناعية وطوال الليل كانت المجموعة قد قطعت حوالي ١٠٠ كيلومتر والبراعة هنا أن تعرف كيف تستدل الطريق وتحدد اتجاهاتك في تلك الصحراء الواسعة وفي ضوء النهار رأى الشاذلي بعينه حجم الكارثة التي حلت بالقوات المصرية وكان هذا المشهد المروع قد شحن داخله بطاريات التحدي للقصاص لدماء هؤلاء الشهداء.

الدبابات والعربات محترقة والطريق مسدود والجثث متفحمة هنا وهناك لعب الطيران الإسرائيلي لعبته في غياب الدفاع الجوي الصاروخي ولم نكن نمتلكه ومن هنا بدأت دروس الأعداء للنصر في قلب الهزيمة.

وأثناء الانسحاب بدأ الطيران ينتقم في هذه الأجواء المكشوفة وزادت الخسائر

عن ذي قبل وهو أمر طبيعي كان يركز على ضرب الدبابات وعلى العربيات الادارية التي تحمل الذخيرة وضربها يجعلها تنفجر يمينا وشمالا وهو ما يؤثر على العربات الأخرى وعلى معنويات الضباط والجنود جرى هذا في مسافة ٩٠ كيلو مترا كانت تفصل مجموعة الشاذلي عن الإسماعيلية والوصول إلى المعابر يوم ٨ يونيو وكان بذلك آخر المنسحبين المحترمين.. وبعدها نسف المهندسون المصريون المعابر أو الكباري حتى لا يستخدمها العدو الإسرائيلي.

عاشت الأسامي

اختلف الخبراء والعسكريون والسياسيون في تسمية حرب الأيام الستة هي: هزيمة يونيو وهي النكسة وهي المذبحة وهي عملية الديك الرومي والمقصود به جمال عبدالناصر وكانت أبرز أهداف هذه الحرب كسر شكوته وايقاف زعامته التي كانت تنمو بقوة في جميع الاتجاهات، الأرقام تقول أن ضحايا ٦٧ أكثر من ٦ آلاف شهيد و١٦ ألف مفقود وتدمير ٨٥ في المئة من القوات الجوية و٨٠ في المئة من القوات البرية. لكن الأستاذ محمد حسنين هيكل يرفض أن يسميها هزيمة ويرى أن الحرب لها هدفان الأول تحطيم القوة المسلحة للعدو.. والثاني تحطيم ارادة العدو ولو قامت الحرب وتحقق هدف من دون الآخر فان الهزيمة لم تحدث والنصر لم يتحقق.. وعلى أرض الواقع تحطمت القوات المسلحة لكن هل تحطمت الارادة المصرية؟.. لا.. لم تتحطم وسنرى بعد أسابيع قليلة من تلك النكسة اكبر الأمثلة على ذلك.. في ردود قوية لعجرفة العدو وفي كل الحروب السياسية والعسكرية في ٦٧ وفي ٧٣ وفي كل الحروب. وكان الشاذلي بعيدا عن شلة عبدالحكيم عامر رجل الجيش الأول وأكثر قربا من جمال الزعيم السياسي في توجهاته وأفكاره.. بل أن هناك صلة أخرى ظهرت من خلال وجود سعد متولي كبير ياورا ناصر وشقيق زوجة الشاذلي، ودخول الحروب بلا خطة أو تدريب معناه أن تلقي بنفسك إلى التهلكة.. لا تنفرد برأيك أيها القائد ولا تحجب المعلومات

فتضلل بها نفسك قبل أن تضلل غيرك والحرب التي تريد أن تكسبها عليك أن تعرف قدرات المعركة وتأمر باغلاق المضايق!

وألقى عبدالناصر بيان التنحي وتحمل وحده أمام الجماهير مسؤولية ما جرى ورغم أن عبدالحكيم عامر طلب منه أن يشترك معه في المسؤولية لكنه رفض وخرجت الملايين إلى الشوارع تطالبه بالعودة وهي تبكي يحركها الانتماء وقد كنت وقتها بالمرحلة الاعدادية وقطعت أكثر من ١٥ كيلو مترا مشيا على الأقدام ورأيت أبي لأول مرة يبكي أمام تلفزيون الجيران الـ١٤بوصة وقد تجمع الجميع امامه. وكان البيان يطوى صفحة للعسكرية المصرية ويكتب من أول السطر صفحة جديدة.

obeikandl.com

خارج السياق :

هذا هو فوزي

محمد فوزي أمين فوزي من مواليد القاهرة - العباسية في ١٣/ ٥/ ١٩١٥ متزوج وله أربع ابناء.

العمل : متقاعد من ١٣/ ٥/ ١٩٧١ حيث قدم استقالته كوزير للحربية وقائد عام للجيوش العربية المواجهة لإسرائيل، أما المناصب التي شغلها فقد تخرج سنة ١٩٣٦ برتبة ملازم ثاني وتدرّج في الرتبة وفي خدمة وحدات مدفعية الميدان حتى ١٩٣٨ ثم انتقل إلى خدمة المدفعية المضادة للطائرات في اللواء الأول المضاد للطائرات ثم انتقل إلى الخدمة الميدانية في الساحل الشمالي لمصر عام ١٩٣٩ في بداية الحرب العالية الثانية حيث تولى قيادة البطارية الثالثة م. ط. ب بالمنطقة الغربية في مرسى مطروح إلى الضيعة إلى فوكة إلى العامرية إلى الدخيلة إلى ميناء إسكندرية الغربي، حيث وقعت أعنف المواجهات العسكرية بين وحدتي البطارية الثالثة المضادة للطائرات وبين طائرات المحور ألمانيا - ايطاليا حتى عام ١٩٤٢، وانتدب بالكلية الحربية مدرس توبوغرافيا ثم عاد إلى اللواء الأول م. ط حيث رشح اللواء للعمل في مسرح عمليات فلسطين في ١٥/ ٥/ ١٩٤٨ وكان قائدا للبطارية الرابعة م. ط واشترك بوحدته ضد الإسرائيليين في مستعمرة الدنجور ونستليم ويسليم إلى أن أصيب وأدخل المستشفى بالقاهرة، تأهل عمليا في جميع الفرق العملية لفن المدفعية المضادة للطائرات التي تغير اسمها لتكون الدفاع الجوي عام ١٩٦٨، اشترك في خلايا الثورة منذ عام ١٩٤٨ وبعد نجاحها رشح ليكون كبير معلمي الكلية الحربية ثم مديرا لها، عاصر حرب ١٩٥٦ ثم حرب ١٩٦٧ ثم عين قائدا عاما للقوات المسلحة اعتبار من ١١/ ٦/ ١٩٦٧ وعين وزيرا للحربية اعتبار من مارس ١٩٦٨ كان قد وصل إلى رتبة فريق أول أعاد بناء القوات المسلحة بعد هزيمة ١٩٦٧ كما أعاد الثقة للجندي المقاتل في مواجهة

العدو، قاد حرب الاستنزاف من سنة ١٩٦٧ حتى ١٩٧٠ بنجاح حيث أجبر الجندي الإسرائيلي على الدفاع لأول مرة أعدّ الخطة جرنيت التي تعني تحرير سيناء بقوة السلاح بالتعاون مع القوات المسلحة السورية قدم استقالته يوم ١١/ ٥/ ١٩٧١، ورفضها الرئيس محمد أنور السادات وحولها إلى محاولات انقلاب ضد الحكم وقدم للمحاكمة العسكرية حيث حكمت المحكمة عليه بالسجن ١٥عاما أشغالا شاقة وبضغط من القوات المسلحة حصل على اعفاء صحي بعد ٤ سنوات وشهرين خرج بعدها من السجن ليقوم بمهمة التأليف والنشر والتوعية السياسية والعسكرية.

openkandl.com